كلمة العميد الأرشمندريت بولس يازجي
ممثّلاً صاحب الغبطة البطريرك إغناطيوس الرابع
في مؤتمر فيريا: "بولس الرسول والبيئة"

سيادة متروبوليت إيطاليا ممثّل غبطة البطريرك المسكونيّ راعي هذا المؤتمر
السادة المطارنة ممثّلي الكنائس الأرثوذكسيّة
سيادة متروبوليت فيريا الجزيل الاحترام
الأساتذة الكرام
السادة ممثّلي الهيئات الرسميّة والحكوميّة
الإخوة المجتمعين الأحبّاء،

يشرّفني أن أحمل إليكم بفرحٍ بركات وأدعية صاحب الغبطة البطريرك إغناطيوس الرابع الكليّ الطوبى والجزيل الاحترام، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق. كما أنقل إليكم صلواته من أجل نجاح أعمال مؤتمركم. إنّ صاحب الغبطة يبارك في هذا المؤتمر الخطوة الضروريّة نحو ترسيخ الموقف المسيحيّ الحيّ والفاعل والملتزم بقضايا الإنسان وبيئته من جهة، ومن جهة ثانية يبارك هذا اللقاء الأرثوذكسيّ من كلّ العالم الذي يشدّ كنائسنا التي تخدم الربّ في أماكن متفرّقة من هذا العالم. وهي اليوم بأمسّ الحاجة للقاءات كهذه تزيد من المحبّة الأخويّة وتجعلها معاشة. لذا كان اهتمام غبطته كبيراً، منذ سنوات، بإرسال ممثّلين عن كنيستنا الأنطاكيّة، إلى هذا المؤتمر في فيريا كلّ عام، للاطّلاع على أعماله القيّمة والمشاركة فيها، وللتواجد جنباً إلى جنب مع كلّ هذه الكنائس الأورثوذكسيّة المتمثّلة هنا.

إنّ موضوع هذا المؤتمر من جهة، ومظاهر التعدّي المتزايدة على الطبيعة وعدم احترام البيئة وجمالها وصفائها من جهة ثانية، تدفعنا إلى التأمّل معكم في هذه اللحظة في موضوع: **سلطة الإنسان وحقوق البيئة**. من حيث المبدأ، إنّ سلطة الإنسان على الطبيعة تعود إلى خلقه على صورة الله. الإنسان هو إله على الأرض، كما أنّ الله هو الإله على المنظورات وغير المنظورات. إنّ السلطة في الحقّ الرومانيّ تمتدّ بحدود الاستخدام حتى مجالات الاستهلاك بحريّة مطلقة وتسمح حتى بسوء الاستخدام. لكنّ الكتاب المقدّس يرى في سلطة الإنسان هذه امتداداً لسلطة الله، وهذا يعني أنّ سلطة الإنسان تهدف إلى متابعة العمل الإلهيّ ذاته. الإنسان إذاً، هو كاهن الكون. من هذا المنظار، التعامل مع البيئة

واستخدام الخيرات الطبيعيّة يخضعان إلى شروط وينحصران في حدود تُحدِّدُها الغايةُ الأخيرة، وهي تحقيق التدبير الإلهيّ من أجل الإنسان.

أنّ الربّ يسوع، في كلّ العجائب، غصب الطبيعة، بمعنى أنّه كَسَرَ أنظمتها المحدّدة، ما دامت الطبيعة تتطلّب اللاطبيعيّ. لكن في تجربة الشيطان له، في أن يرمي ذاته عن جناح الهيكل (دون حاجة تبرّر ذلك) رفض يسوع أن يخرق النواميس الطبيعيّة. وهذا المثل يولِّد لنا تساؤلاً عميقاً حول المعنى الفعليّ لخرق الطبيعة أو احترام نواميسها.

الطبيعة ليست قائمة ومستقلّة بحدّ ذاتها أو ذاتيّة الحركة. ناموس الطبيعة ليس القوانين الطبيعيّة وإنّما العناية الإلهيّة. إنّ هذه العناية حدّدت وأوجدت تلك الأنظمة وهي في غابتها تستطيع استبدالها.

خرق وغصب الطبيعة، في الحقيقة، هو سوء استخدامها. وسوء الاستخدام، هو كلّ استخدام لا يساهم في تحقيق المخطّط الإلهيّ الصالح من أجل الإنسان.

من الواضح إذاً، أنّه عندما يمارس الإنسان سلطته بشكلها السليم (على مثال الله) عندئذٍ يضمن للطبيعة حقوقها، أي مسيرتها إلى غايتها.

إنّ اختيار هذا الموضوع عند الرسول بولس ناجحٌ جدّاً، وذلك أوّلاً، لأنّ بولس الرسول هو اللاهوتيّ العميق والشامل الأوّل في الكتاب المقدّس.

وثانياً، لأنّ بين الرسول بولس والطبيعة والمحيط قصّة خاصّة وخبرات مميّزة. لقد كانت الطبيعة أداة لمعرفة الله. بالنور وفقدان البصر، بهذه التبدلات الطبيعية توصل بولس إلى معرفة يسوع.

ألم تكن الطبيعة، بالنسبة له، أداة لمعرفة الذات أيضا. لقد أكسبته من التواضع كماله، ومن الإيمان ثباته. إن الشوكة بالجسد جعلته يعتمد على نعمة الله التي في الناقصين تكمل. من يقرأ الفصول الأخيرة من الرسالة إلى أهل كورنثس يستنتج بسهولة كيف ساهمت الخليقة المتنهدة والمتأوهة بعد السقوط، وذلك بالأثقال التي فرضتها على رسالته وعمله العثرات التي رمتها في دربه، في تعزيز إيمانه.

البيئة أو المحيط، أو الخليقة، هي مكان للحوار بين الله والإنسان. الله الذي لا يعرف من جوهره نراه ونعرفه ونخاطبه من خلال نعمه وأعماله. لهذا أية دراسة تتناول البيئة يجب أن تنطلق من هذا الأساس وأن تنظر إلى هذه الغاية: علاقة الإنسان بالله من خلال الطبيعة. نستطيع إذا أن نخرق الأنظمة ولكننا يجب ألا نتجاوز بأي شكل من الأشكال الناموس الحقيقي للطبيعة، أي مخطط العناية الإلهية من أجل الإنسان.

لا بد، أن هذا المؤتمر سوف يغنينا بمداخلات لاهوتية وعلمية من الأخصائيين في المجالات العلمية المختلفة، وإننا واثقون أنه سوف يوضح الموقف الأورثوذكسي أكثر حول هذا الموضوع المعاصر وهذه المسألة الراهنة.

أكرّر الأدعية الأبويّة من صاحب الغبطة والتمنيات بالنجاح وتحقيق الأهداف التي يصبو إليـــــها هذا المؤتمر. وكذلك أهديكم بركاته الرسوليّة، أوّلاً إلى صاحب السيادة مــــتروبوليت فيريـــا الجزيـــل الاحترام، وثانياً، إلى سائر مساعديه ومعاونيه، وخاصّةً اللجنة العلميّة المعاونة.

راجياً في الختام أعمالاً موفّقة.

فيريا: ٢٥ حزيران ١٩٩٩